أفاق فكرية

رت م د :0367 - 2353
رت م د إ: 5507-2602

ص . ص 135 - 149

واقع الاحتفالات الدينية بالجزائر العثمانية
على ضوء رحلة "ابن حمادوش الجزائري"

abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

واقع الاحتفالات الدينية بالجزائر العثمانية على ضوء رحلة " ابن حمادوش الجزائري"

- عبد الله موساوي
- جامعة قسنطينة 02 عبد الحميد مهري
- abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

تاريخ الارسال : 2018-05-28 تاريخ القبول: 2018-07-08

الملخص: تعد الحقبة العثمانية من أهم الحقب التاريخية في تاريخ الجزائر، حيث خلال هذه الفترة استطاع العثمانيون التأثير بشكل أو بآخر في نظام المجتمع الجزائري بمختلف جوانبه السياسية والثقافية وحتى الجانب والديني وأدخلوا عادات وتقاليد أصبح الجزائريون يتوارثونها أبا عن جد وبعض هذه العادات لا يزال إلى يومنا، بحيث تنوعت بين الطابع الاجتماعي والديني تجلت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الاحتفال بعيد الفطر وغيرها، إضافة لختم صحيح البخاري، فالجانب المتمثل في الاحتفالات الدينية الذي يمكن اعتباره جانب مهم جدا في دراسة الحياة الدينية في الجزائر العثمانية وذالك انطلاقا من مصدر مهم المتمثل في ما دونه الرحالة الجزائريون عامة وفي رحلة ابن حمادوش الجزائري بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: الجزائر العثمانية، العثمانيين، الاحتفالات الدينية، الرحالة، ابن حمادوش.

The reality of religious celebrations in the Ottoman Empire in the light of the Travelers 'Ibn Hammadush Algerian'

Abstract: The Ottoman period is one of the most important historical periods in the history of Algeria. During this period, the Ottomans was able, in one way or another,to influence theAlgerian societysystem in all its political, cultural and even religious aspects; in which it had introduced new customs and traditions that are exist till today.These traditions varied between the social and religious character and which could be noticed in celebrations such as the birth of the Prophet, Eid al-Fitr, among others.In addition, they are manifestedon the seal of Saheeh al-Bukhari, , namely religious ceremonies, which can be considered as a very important aspect when studying religious life in Algeria during the Ottoman period. The paper is based onbooks of Algerian travelers and in more particular those of Ibn Hammadush.

Keywords: Ottoman Algeria, Ottomans, Religious Celebrations, Travelers, Ibn Hammadush

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

تمهيد:

كانت الرحلة ولا زالت عنصرا هاما في حياة البشرية عامة وعلى الصعيد العربي والإسلامي بصفة خاصة، واتضحت أهميتها أكثر بعد ذالك نظرا لما تحتويه من أغراض مختلفة ساهمت بشكل أو بآخر في التعريف بحياة الشعوب فأدب الرحلة من التراث العربي المأثور، وهو من ابرز الفنون الأصلية عند العرب بصفة عامة والمغاربة على وجه الخصوص، حيث عُرفوا بغزارة التأليف وتميزوا بتدوين رحلاتهم، هذه الأخيرة التي تعددت وتنوعت مجالاتها وموضوعاتها وأهدافها، هذا وقد عُرف عن الإنسان حبه للترحال لسبب أو لآخر[1] ، كالبحث عن الظروف المعيشية والمناسبة له، إضافة إلى أسباب أخرى دفعته لاكتشاف أماكن جديدة مجهولة وما تذخر به من وخيرات وكنوز، والرغبة في معرفة ما في العالم من عادات وتقاليد وأخلاق.

عرفت الفترة العثمانية في الجزائر ازدهار أدب الرحلة، حيث قام العديد من الرحالة الجزائريين برحالات عديدة شرقا وغربا دفعتهم لدالك أسباب شتى، لعل ابرز هاته الرحلات في الفترة العثمانية رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، والتي تعد مصدرا تاريخيا لدراسة الجوانب السياسية والاجتماعية للجزائر العثمانية والجانب الديني المتعلق بالاحتفالات بصفة خاصة، فكانت صورة حية للمناطق التي مر بها الرحالة ابن حمادوش.

أولا: مفهوم الرحلة:

1- التعريف اللغوي:

الرحلة حركة انتقال لشخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة، ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ): "رحل: الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر، ويقال رحل يرحل رحلة (...) والرحلة: الارتحال (...) ورحّله إذ أظعنه من مكانه[2] ، وعند ابن منظور (ت711هـ)، " رحل الرجل؛ إذا سار ورحل ورَحُلُ رَحُول، وقوم رُحَّل؛ أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال: عالم بذالك ومجيد له (...)، والترحّل والارتحال: الانتقال، والرّحلة: اسم الارتحال، وقال بعضهم: الرحلة: الارتحال، والرُّحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده"[3] ، إذا؛

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

فمعاجم اللغة تجمع على أن الرحلة هي انتقال من مكان لآخر، وبهذا المعنى يكون العديد من المغاربة وغيرهم من البشر قديما قد أنجزوا رحلات لا تعد ولا تحصى، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر، إلا انه ليس كل من ارتحل قد دون رحلته ، إذا فالمعنى الأول يتأسس عليه المعنى الثاني.[4]

2- التعريف الاصطلاحي للرحلة:

الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وما عاشه، مازجا ذالك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وانجاز الرحلة أي؛ كتابتها، يتطلب أن يكون الرحالة ذات مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره في كتابة، والرحلة هي كتابة وخطاب حال اشتغال واهتمام الباحثين بها، ويشترك المفهومان اللغوي ولاصطلاحي للرحلة في الحركة على أنها لون أدبي ذو طابع قصصي يحمل فائدة المؤرخ والباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، وهي ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضاع واكتشاف المعالم والأقطار ووصفها والحكم عليها، فهي إذن وصف لكل ما انطبع من ذالك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته و احتكاكه بالمحيط يتآزر في ذالك الواقع والخيال، وأسلوب القص والحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها[5].

ونعني بالرحلة عامة السفر الذي يتوخى من ورائه الاطلاع على آفاق جديدة في المناطق المجهولة؛ وقد يصل الأمر بصاحبها إلى تسجيل أهم ما يتعلق بها في تقرير يصبح وثيقة تاريخية وجغرافية لها بعد ذالك، وهكذا فالرحلة عامة عملية لكشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس، والرحالة في الأساس يمكن أن يكون مكتشفا أو مغامرا أو عالما أو رجل دين أو تاجرا وتبعا لهذا فهو تحركه دوافع سياسيو أو اقتصادية أو دينية أو علمية،[6] يقول ابن خلدون "الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"فالرحلة سبيل لاكتساب العلم والمعرفة في المراكز العلمية المختلفة وأداة تواصل حضاري بمفهومه الواسع.[7]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

ثانيا: أنواع الرحلات:

حاول الدارسون تصنيفها، وحصرها، لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة، ثلاث منها، ظهرت قبل الإسلام وهي: رحلة التجارة، ورحلة الجهاد، والرحلة السفارة، والثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم ورحلة التجوال والطواف.

أما محمد الفاسي فيعدد أنواع الرحلة[8] خمسة عشر نوعا، وهي الرحلات: الحجازية والسياحية، والرسمية، والدراسية، والأثرية، والاستكشافية، والزيارية، والسياسية، والعلمية، والمقامية، والبلدانية، والخيالية، والفهرسية، والعامة، والسفارية، ويمكن إدراج الكثير من هذه الأنواع تحت عنوان واحد كالرحلات الرسمية التي تضم السياسية والسفارية[9] ، ويمكن التركيز على الأكثر الأنواع شيوعا، كالرحلات العلمية والتي ساهمت إلى حد كبير في تطوير الدراسات الاثنولوجية والاثنوغرافية[10] ، إضافة إلى الرحلات الدينية، والرسمية، والتجارية.

ثالثا: ترجمة لصاحب الرحلة:

1- مولده ونشأته:

هو عبد الرزاق بن محمد المعروف باسم ابن حمادوش الجزائري، من معاصري القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي، ولد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ (1695م) وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين،[11] هو من أسرة متوسطة الحال، بل لعلها أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى وهي تنتمي إلى فئة الحرفيين في مدينة الجزائر، وهناك أربع حرف على الأقل ذكرها ابن حمادوش متصلة بأسرته وهي الدباغة والحرارة والصفارة والتجارة[12] ، ويذكر سعد الله أن ابن حمادوش انصرف إلى التجارة واحترف العلم فكان نصيبه منها الفقر لا الغنى، وهو ما يكشف عن سر إهمال المترجمين المعاصرين له رغم علمه.

تجدر الإشارة إلى انه تحاشى التقرب إلى الولاة والوزراء والسلاطين، ورغم علمه لم تسند إليه وظائف إدارية ولا مناصب دينية كالفتوى والقضاء والتدريس الرسمي، وكثيرا ما افتخر ابن

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

حمادوش بين معاصريه بعلمه ونسبه الشريف ،[13] والدليل ما أورده أبو القاسم سعد الله حيث يذكر انه عندما افتخر ابن حمادوش أمام المفتي الحنفي "ابن علي" لم يفتخر بعلم أسرته ولا مكانتها الاجتماعية والسياسية، وإنما افتخر بشرفه ونسبته إلى آل علي كرم الله وجهه[14]

2- ثقافته وأسفاره:

يقول ابن حمادوش على بداياته مع اخذ العلم مفتخرا بأنه أخذ العلم قراءة وليس عن طريق الإجازة والسماع كما كان يفعل بعض المعاصرين له، فمن أين أخذ العلم في صباه؟ الأرجح انه قد دخل الكتّاب كما هي العادة، فحفظ القرءان الكريم وتعلم الطريقة المتبعة عندئذ من التدرج في حفظ المتون وتعلم العمليات الحسابية، ثم ارتقى في السلم إلى أن أصبح من الطلاب.[15]

وما يهمنا أن نذكر أن ثقافة ابن حمادوش كانت هي ثقافة معاصريه ولكنه انفرد عنهم بالتخصص في الجانب العلمي من هذه الثقافة، فبينما درس مثلهم العلوم الشرعية واللغوية واخذ العلم مثلهم أيضا قراءة وإجازة،[16] نجد أن ابن حمادوش يميل بطبعه إلى ما يسمى اليوم بالعلوم الرياضية والطبية وما شاكلها، فهو صيدلي وطبيب وحسّاب وفلكي وفرضي ومنطقي، ... كما كان مهتما بالفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ، وتشهد رحلته أنه كان رحالة كثير الاهتمام بطبائع الناس وغرائب الأشياء، دقيق الملاحظة.

تصوفه:

لا يبدو على ابن حمادوش أنه كان من المتصوفة أو حتى من المتظاهرين بالتصوف مع معظم فقهاء وقته، ولم تكن تظهر من كتبه تلك الروح الدينية السائدة عندئذ، ولذالك حكم بعضم بأنه كان عقلانيا بمقياس ذالك العصر، لكن المتمعن بآثاره يجد تجاوبا مع روح العصر في هذا الميدان ايضا، ولو بقدر يسير.[17]

3- مؤلفاته: له العديد من المؤلفات التي تنوعت مابين العلمية وموضوعات أخرى، أبرزها:

- ✓ شرح على قصدية الربع على كردفر
- ✓ تأليف في الروزنامة

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

- ✓ تأليف في الأعشاب لم يذكر عنوانه وإنما قال عنه " فإن الأعشاب المقيدة في تأليفي كلها معروفة عندي ولعل هدا التأليف
- ✓ كما أشار سعد الله إلى أنه هو بعينه الكتاب الرابع من الجوهر المكنون
- ✓ الجوهر المكنون من بحر القانون (في الطب) وهو التأليف الذي جعله في أربعة كتب، أحدها وهو الرابع في الأعشاب
- ✓ تأليف في الفلك جمع فيه التواريخ السبعة التي تعلمها، وقال عن رحلته عنه "وسميته" ولكنه ترك بياضا بعد هذه الكلمة
- ✓ تأليف في الإسطرلاب والربع المقنطر لم يذكر له عنوانا
- ✓ تأليف في القوس الذي يأخذ به الأوربيون (النصارى) حركة الشمس ولم يذكر له عنوانا أيضا
- ✓ تأليف في الرخامة الظلية بالحساب استخرجه من كتاب للأوربيين، ولم يذكر له عنوانا
- ✓ تأليف في صورة الكرة الأرضية مستحى من مطالعته لكتاب رضوان أفندي في صورة الكرة، أشار إلى أنه "ساع في إكماله" ولم يذكر له عنوانا
- ✓ تأليف في علم البلوط (أو معرفة الطرق البحرية) لم يشر إلى عنوانه
- ✓ كارطة (خارطة) لرسم اتجاهات رياح البحر، دون ذكر عنوان لها، ولكنه رسمها بدقة
- ✓ تعليق على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا؟ ولم يذكر لذالك عنوانا
- ✓ بغية الأديب من علم التكعيب، أتمه سنة 1143
- ✓ فتح المجيب في علم التكعيب، ألفه بعد أن اطلع على كتاب للأوروبيين في المساحة والهندسة وانتهى منه سنة 1160، ويبدو أنه تنييح وتوسيع لكتابه (بغية الرواد)
- ✓ شرح على منظومة ابن غرنوط، والظاهر أنه نفسه (بغية الأديب)
- ✓ تأليف في عمل البونبة أضافه إلى ما كان قد تعلمه من تأليف عبد الرحمن الفاسي في نفس الموضوع
- ✓ تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج، أتمه على ما يظهر سنة 1161 في مدينة رشيد بمصر
- ✓ تأليف في الطاعون الذي أصاب الجزائر في وقته، لا نعرف عنوانه[18]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

ولابن حمادوش، بالإضافة إلى هذه الكتب العلمية، مؤلفات أخرى في الأدب والرحلة والمنطق[19] والنحو والشعر[20] ، وباستثناء التأليفين الأخيرين، فإن جميع بقية التآليف قد ذكرها في الجزء الثاني من رحلته غير معروفة إلى الآن وهي في حكم الضائعة[21]

رابعا: قيمة الرحلة:

1- جزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي، كتب في عهد طالما رمي بالجمود والتخلف[22]

2- تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا[23] وفكريا واجتماعيا، وعن معاصريه[24]: أفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم

3- مصدر هام لحياة المؤلف نفسه[25] ، بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى فهي مرآة حياته ونشاطه وتفكيره، رغم أنها غير كاملة

4- تضم وثائق لا غنى عنها للباحثين في التاريخ الاجتماعي والأدبي والديني

5- نادرة في نوعها، وهو فن الرحلة، إذ لم يبقِ لنا الزمن سوى عدد ضئيل من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني

وإذا كانت لرحلة ابن حمادوش ايجابيات، فإن لها أيضا سلبيات هي كالآتي:

1- تفتقر إلى وحدة الموضوع والترابط العضوي، فهي كشكول فيه خليط من الحوادث والأفكار، والنقول والمذكرات

2- مليئة بالاستطراد الثقيل

3- لا تدل على أن القدرة العقلية للمؤلف كانت دائما فوق النقد، وان كثيرا من النصوص الواردة في الرحلة، ولاسيما اختياراته التي يبدو أنه يقصد بها الترويح عن القارئ، تنضح بالخرافة والتخلف العقلي.

والحق انه؛ برغم ضعف منهجية الرحلة وكثرة الاستطرادات والحشو فإنها ستبقى مصدرا لا يستغنى عنه لفهم الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية للجزائر والمغرب، وهكذا يتضح انه بالرغم من بعض نقاط الضعف فان رحلة ابن حمادوش تتمتع بقيمة نادرة كجزء من التراث

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

العربي الإسلامي للجزائر كمصدر لمعرفة الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية وكسيرة ذاتية للمؤلف نفسه.

خامسا: الاحتفالات الدينية:

فالاحتفالات الشعبية هي ممارسات نمطية تحتوي على ممارسات شعائرية وجوانب اجتماعية وأخرى ثقافية ويشارك فيها أكثر من ممارس والخصائص التي تميز الاحتفالات الشعبية كونها مرئية يمكن تصورها ويمكن رصدها وتظهر فيها جوانب ومظاهر من الثقافة المادية كما تظهر جوانب الأدب الشعبي لثقافة المجتمع الذي تمارس فيه أنواع الاحتفالات الشعبية، والدينية العامة كالاحتفال بالأعياد(عيد الفطر وعيد الأضحى)ومولد النبي صلى الله عليه وسلم والاحتفال بليلة السابع والعشرين من رمضان وغيرها من الاحتفالات الدينية منها:

1- الاحتفال بليلة القدر:

هي من الليالي المباركة لدى المسلمين عامة لما فيها من قدر عظيم وما فيها من أجر كبير قوله تعالى: " **إِنَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةِ القَدرِ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيرٌ مِنْ أَلفِ شَهْرٍ** ..."[26]

هذا وقد عرف في بلاد المغرب من قرون الاحتفال بليلة القدر فهي مناسبة دينية جليلة، وقد أورد ابن حمادوش في رحلته طريقة الاحتفال بليلة القدر خلال القرن 18 " ... فبعد الذهاب إلى المساجد يتولى المشرف على الجامع الكبير بفرغ قنطار أو أكثر من الشمع ويفرقها على الثلاثين شمعة على شكل وحدات، كل وحدة فيها حوالي 03 أرطال إلى 04 ليأتوا بها إلى دار المفتي أو الوكيل وبعد صلاة العصر يخرجها المؤذون والمصلون ليطوفوا بها البلاد، وفي العودة يمرون بطريق أخرى، وينشد أحدهم والبقية يرفعون أصواتهم بالصلاة والسلام على النبي صل الله عليه وسلم،

وبعد دخولهم إلى المسجد يجعلون الشموع في أعواد، ويشعلونها مع عدد كبير من قناديل القوارير ويحيون الليل كله إلى الفجر، فإذا قرب الفجر أو أوتروا وقرءوا ما تيسر من القرءان والتسبيح، وفي هذه المدة يرشون المكان بماء الورد ثم يسكتون ويشرع الإمام في الدعاء الخاص بالمناسبة.[27]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

2- الاحتفال بالأعياد الدينية:

احتفالات العيد هي امتداد لاحتفالات ليلة القدر، يذكر ابن حمادوش أيضا انه بعد الانتهاء من الاحتفال بليلة القدر يذهب الناس صباحا إلى قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ويحضرون عنده ختم صحيح البخاري أيضا ويتهيئون للعيد، وهذه عادة الجزائر دائما".[28]

كما وصف لنا ابن حمادوش عيد الأضحى بتطوان، فذكر أنه بعد الذهاب إلى المسجد يقوم قائدهم وجماعته وبأيديهم بنادق ويطلقون البارود معلنين بداية الاحتفال بعيد الأضحى المبارك، وذكر أيضا خطبة الإمام التي تحوي مواعظ وبشائر وتحذير ونهي وكل ما هو متعلق بأمور العيد[29].

3- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

ذكر عبد الرزاق ابن حمادوش في رحلته طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بعد الزيارة التي قادته للشيخ أحمد بن المبارك السجلماسي بفاس، حيث شهد أيضا هناك احتفال أهلها بنفس المناسبة، فوصفها قائلا: " لقيت الطبالين والعياطين وآلات الطرب كلها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من شمع كل وحدة من لون أحداها خضراء وأخرى بيضاء ، وأخرى حمراء"، هذا وقد أشار في حديثه إلى أن الاحتفالات بفاس أخف في الجزائر.

4- ختم صحيح البخاري:

إضافة إلى الصوم و الحفلات و السهرات فقد التزم الجزائريين بجانب ديني آخر ألا وهو سرد البخاري و يتم ختمه ليلة السابع و العشرين من رمضان، فختمات البخاري لم تكن مشهورة لدى المشارقة ولم تكن سنة مألوفة، كما هو الشأن عند المغاربة خاصة بالنسبة للجامع الصحيح، حيث جرت العادة الحميدة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية عند الانتهاء من سرد الصحيح وتدريسه وإقرائه وشرحه، ويكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح، حيث يقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهم العلوم الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة وقد يؤرخ لتدوينها، ثم يتحدث عن صاحب الترجمة ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ويتحدث عن مناسبة الحديث من الجامع وعند سنده ومتنه شرحا مستفيضا، ثم يتخلص إلى ذكر مروياته

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

وسنده الفريد أو المتعدد للجامع الصحيح، وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار وإحياء للطقس[30].

والمتتبع لرحلة ابن حمادوش يرى عدة عناوين وصفحات أفردها المؤلف للتحدث عن صحيح البخاري وطريقة سرده في الجزائر، فابن حمادوش كان يشغل وظيفة في الجامع الكبير مهمته سرد البخاري، إذ يذكر ابن حمادوش انه يتم السرد من طرف المملي[31] فيذكر عندما حضر يوم السبت الثاني عشر قرأ المملي سيدي محمد بن سيدي الهادي فضائل الصحابة حتى وقف على تزويج النبي (صلى) خديجة بعدها قرأ سيدي احمد العمالي من غزوة خيبر إلى غزوة الطائف وفي يوم آخر تحدثوا عن حديث البزاق في الثوب و هكذا كل مرة يقرا احد المملين مع وجود درس جديد، إذ أن عدد أحاديث البخاري 7275 نذكر منها بدء الوحي و فيه خمسة أحاديث، الإيمان و به خمسون حديث، التيمم خمسة عشر حديث، الصلاة في الثياب تسعة و ثلاثون حديثا، المساجد ستة و سبعون حديثا، في حين ذكر في وجوب الزكاة مائة و ثلاثة عشرة حديثا ...الخ.

الجدير بالذكر؛ أنه بعد الاطلاع على موضوعات الكتاب ومن خلال فهرسه نجد أن ابن حمادوش كرر كثيرا جملة قراءة البخاري، وهذا تأكيدا لأهميته ومكانته، فهو يعود كل مرة إليه في رحلته

والملاحظ أن المواضيع المتناولة متنوعة ما بين السيرة النبوية وتفسير القرءان الكريم "كشرح وتفسير سورة كفهيعص (مريم) وزاد إلى سورة الشعراء ... وفي الغد قرأ منه إلى باب فمنهم من قضى نحبه"،[32] ومن المواضيع التي ذكرها المؤلف والتي هي عبارة عن كتب وأبواب في صحيح البخاري، ككتاب الأطعمة، الأضاحي، كتاب الدعوات، إضافة إلى باب ما يذكر في الطاعون وغيرها[33] ، بدليل ما ذكره " وفي يوم الاثنين وقفنا على كتاب الصلاة، وفي يوم الثلاثاء وقفنا على باب وقت العشاء إذا اجتمع الناس، وفي يوم الأربعاء وقفنا على فضل اللهم ربنا ولك الحمد[34] ... وفي يوم الاثنين على كتاب الزكاة، وفي يوم الأربعاء وقفنا على أبواب العمرة[35].

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

وفي موضع آخر من الكتاب ذكر يقول" وفي يوم السبت وقفنا على كتاب القدر، وفي يوم الأحد وقفنا على كتاب الكفارة، وفي يوم الاثنين وقفنا على كتاب المحاربين، وفي يوم الثلاثاء وقفنا على كتاب الديّات[36]

والمتمعن في ما يخص ختم صحيح البخاري يجد في رحلة ابن حمادوش عدة مواضع لختمة البخاري وأغلبها كانت في نهاية رمضان[37]، يقول في هذا الصدد:" وفي يوم السبت ثامن وعشرين رمضان وقفنا على باب ونضع الموازين بالقسط وهو ختمنا البخاري[38] ، ويقول في موضع آخر" وفي ثالث عشر رجب يوم الأحد ابتدأنا سرد البخاري ودرايته في الجامع الكبير كالماضي، إلى يوم الأربعاء تممنا عشر البخاري في السرد، ووفقنا باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد"[39] ، وتحت عنوان ختم البخاري يذكر ابن حمادوش أنه ختم البخاري يوم الأربعاء السابع والعشرين من رمضان عند ونضع الموازين القسط، وكانت الختمة بعد صلاة الصبح يوم الخميس في المحراب"[40]

كما أن هناك عادات تلي ختم صحيح البخاري، يصفها ابن حمادوش في الرحلة قائلا:" بعد انتهاء المفتي من الصحيح يقرأ الفاتحة برفع اليدين مرارا ورش الخدم الناس بماء الورد"[41] ، وعقب ختم البخاري في 26 رمضان يقومون بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم صيغتها كالأتي: "اللهم صلي أفضل صلاة على اشرف مخلوقاتك سيدنا محمد و على اله و صحبه و سلم عدد معلوماتك و مداد كلماتك كلما ذكرك و ذكره الذاكرون، و غفل عن ذكرك و ذكره الغافلون"؛ و بعدها يرش الخدم الناس بماء الورد.[42]

والحق؛ أن اتساع الموضوعات المتناولة وتنوعها في ما يخص صحيح البخاري من طرف ابن حمادوش لدليل على سعة علمه.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

خاتمة:

إن ما نستنتجه من رحلة ابن حمادوش الجزائري هي أنها تبقى واحدة من ابرز المصادر التي أرخت للحقبة العثمانية في الجزائر، كاشفة عن أهم الجوانب الأساسية فيه ألا وهو الجانب الديني وبالأخص الاحتفالات المصاحبة لأبرز المناسبات الدينية لدى سكان المغرب العربي عامة والجزائر بصفة خاصة، فالاحتفالات الدينية في الجزائر خلال الفترة العثمانية لم تتغير على ما كانت عليه سابقا وقد لاحظنا كيف تنوعت وتعددت من أعياد دينية إلى الاحتفال بليلة القدر وليلة مولد سيد الأنام محمد صل الله عليه وسلم، إضافة إلى الاحتفال بليلة القدر، وهذا ما أدى إلى اختلافها وتنوع الطقوس المصاحبة لها، فهذه الاحتفالات لم تكن وليدة الفترة العثمانية و إنما هي عادات توارثها الجزائريون أبا عن جد، كما كانت هناك احتفالات كذلك اعتاد الجزائريون على ممارستها حتى الفترة العثمانية، والحق أن ما زاد من قيمة الرحلة، باعتبار مؤلفها عارك في رحلته أهوالا من أجل المعرفة، فهو عاش تلك اللحظات، وعاين الظاهرة عن كثب وخالط أهلها سواء في الجزائر أو المغرب ،فمن هنا إذا تبرز قيمة معلوماته.

الاحالات و الهوامش :

1 - طبيعي أن تكون الرحلة من أهم وسائل طلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، فقد كانت الكتب نادرة، وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع والمؤلفات اليوم وفضلا عن ذالك فقد تعددت مراكز الثقافة في دار الإسلام فكان رجال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر يدرسون على مشاهير الأساتذة ويلتقون بأعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين وكذا الأطباء والفلاسفة والرياضيين، ولعل من أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد سجل النابهون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم وارتساماتهم وأحاسيسهم وكذا الطرق والدروب التي مروا بها وسلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحالة وليس من شك في أن مدونات شاهد الرؤيا أصدق قيلا وأقوى تأثيرا ممن سمع أو قرأ أو استنبط، وكان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلا عن تأدية الفريضة فوائد جمة منها الالتقاء بمعظم علماء وفقهاء العالم الإسلامي، ومنها المجاورة ثم التجارة التي يجني من ورائها النفع والكسب المادي، للمزيد انظر: أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، د ط، د ت، دار البيان العربي، ص 12،13.

2 - أبي الحسن بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، ج2، ط2 (مادة رحل)، دار الفكر، سوريا 1979، ص 368.

3 - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف، ج 03 (مادة رحل)، د ط، د ت، القاهرة ، ص 1608.

4 - جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014- 2015، ص 07.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

5 - عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 07، 08.

6 - عمر علوي أمراني، الرحلة كوثيقة من بين أقدم الوثائق المكتوبة في تاريخ المغرب القديم، سلسلة الندوات 05، ندوة بعنوان: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، مكناس المغرب 1993 ص 14.

7 - سعيد لمبح، الرحلة العلمية: "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا أنموذجا"، سلسلة الندوات 05، ندوة بعنوان: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، مكناس المغرب 1993، ص 205

8 - يقول صلاح الشامي: " أن الرحلة اعتبارا من القرن 06هـ (العاشر الميلادي) انطلقت على أوسع مدى، وتجاوزت ديار المسلمين على أمل أن تتحقق أهدافا متنوعة؛ اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية لحساب العلاقات بين الدولة الإسلامية ومجتمع الدول الخارجي، وعملية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة انظر: جميلة روباش، المرجع السابق، ص 25.

9 - اصطلح الباحثون المغاربة المعنيون بأدب الرحلة على تسمية الرحلات التي نفذتها شخصيات رسمية إلى أوروبا بـ"الرحلات السفارية" وهو ما ينطبق على رحلة الغساني، وهذا النوع من الرحلات عادة ما تكون (...) الغاية من سفر صاحبها (...) القيام بسفارة لدى دولة أجنبية وتكون أحيانا من إنشاء السفير نفسه إن كان (...) من رجال الأدب والعلم و أحيانا أخرى يقوم بتأليفها أحد الكتاب الذين يرافقون السفير، انظر: محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، د ت، ص 14.

10 - يعتمد علم الاثنوغرافيا بالجانب الوصفي الأولي لحياة مجتمع ما، ويرى باتون (patton) إن البحث الاثنوغرافي يعنى بالثقافة بشكل خاص فسؤاله الدائم هو: ما ثقافة هؤلاء، وهل يفترض أن أي مجموعة من الناس لا تعيش مع بعضها لفترة زمنية معينة ستكون ثقافة معينة خاصة بها؟، ويرى أوجبو (ogbu) أن البحث الاثنوغرافي طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع أو جماعة ما وطرقه في الحياة اليومية، من خلال معرفة أفكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم، وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها للمزيد ينظر: محمد حناوي، "كتاب - نزهة المشتاق - مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، ص 57- 58 وانظر: فهد بن سلطان السلطان، "المنهج الاثنوغرافي"، faculty.ksa.edu.sa، ص 11

11 - عبد الرزاق ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1983، ص 09

12 - أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ....، ص 18

13 - نفسه، ص 18

14 - أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ...، المرجع السابق، ص 22

15 - نفسه، ص ص 21، 22

16 - لم يذكر ابن حمادوش من شيوخه الذين أخذ عنهم قراءة (دون إجازة) إلا عالما تونسيا وهو الشيخ محمد زيتونة وعالما جزائريا هو محمد بن ميمون، كما ذكر عددا من علماء المغرب الذين أخذ عنهم العلم بطريقة القراءة ثم أجازوه، ومن هؤلاء الشيخ أحمد الورزي الذي أقر عليه ابن حمادوش بتطوان أجزاء من التفسير والحديث ومختصر خليل، ينظر: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة...، المرجع السابق ص ص 24، 25

17 - نفسه، ص 48

18 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج02، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص 429- 431

19 - مثل كتابه (الدرر على المختصر) الذي تحدث فيه على مختصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، وهو الكتاب الذي وافقه وأطره كل من الشيخ أحمد الورزي المغربي والشيخ أحمد بن عمار الجزائري، ينظر: أبو القاسم سعد الله، عبد الرزاق أن حمادوش ورحلته لسان المقال، مجلة الأصالة، ع 38، السنة الخامسة، أكتوبر 1978، ص 09

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

20 - ترك ابن حمادوش بعض المقامات الأدبية، ذكر منها ثلاثا في الرحلة واثنتان منها عن أفكار عرضت له بالمغرب أما الثالثة فالظاهر أنه ألفها في الجزائر، والجدير بالملاحظة –حسب أبو القاسم سعد الله – أن أشعار وأدب ابن حمادوش لا يرقى إلى مصاف أدباء بلاده المعاصرين له كابن ميمون وابن عمار وابن علي، انظر: أبو القاسم سعد الله، عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته...، المرجع السابق، ص 09.

21 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص 431.

22 - تعتبر الرحلة قطعة هامة من تراث الجزائر الوطني خلال القرن الثامن عشر، ذالك أن الكتاب المغرطين كثيرا ما روجوا بأن الجزائر في العهد العثماني لا تملك من هذا التراث إلا اليسير، والواقع أننا نجد مجموعة من الأعمال الجزائرية التي كتبت خلال القرن المذكور منها (التحفة المرضية) في عهد الداي محمد بكداش و (الثغر الجماني) في عهد محمد الكبير،و (نحلة اللبيب) في التشوق والاستعداد للحج إلى بيت الله الحرام، و(نزهة الأنظار) للورتلاني وهي رحلة حجازية وغيرها، ينظر: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، المرجع السابق، ص .76.

23 - فبالرغم من أن حمادوش لا يكثر من الحديث عن الحياة السياسية في الجزائر، فان ما جاء منها في الرحلة يجعله ضروريا لكل طالب حقيقة، ولا شك ان كتابته عن ثورة احمد الريفي في المغرب تعتبر مصدرا أساسيا لفهم هذه الثورة كما أن ما جاء فيها من أخبار عن ولادة الجزائر والصلح مع الأجانب وبعض الثورات الداخلية لا يمكن الاستغناء عنه لأنه لم يظهر حتى الآن ما يجعله مصدرا ثانويا، ينظر: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، ص 77.

24 - تحدث ابن حمادوش في رحلته عن إجازات العلماء وعاداتهم في القراءة والإقتاء، وعلاقاتهم ببعضهم وتنافسهم ومقدار معارفهم،سواء كانوا في المغرب أو الجزائر، كذالك تقدم لنا الرحلة معلومات هامة عن محمد بن ميمون (صاحب التحفة المرضية).وهو أيضا غير مترجم له ولا توجد عنه إلا أخبار ضئيلة قبل اكتشاف رحلة ابن حمادوش.وكما أورد ابن حمادوش أخبارا عم ابن ميمون وابن عمار فقد قدم معلومات حية عن بعض علماء المغرب، وتمتاز رحلة ابن حمادوش على تقاييد ابن المفتى بأن صاحبها كان لا يسرد أسماء العلماء"الرسميين" ولكن يتحدث عن حياة المثقفين في الجزائر، بما في ذالك العلماء الرسميون، ثم إن عمل ابن المفتى يعتبر صغير الحجم بجانب عمل ابن حمادوش، وهو مكتوب بلغة تكاد تكون عامية، ولكن ابن المفتى تناول أيضا حياة الباشوات وتصرفاتهم وأعمالهم، وتمتاز على ابن حمادوش بأنه لم يذكر أسماء مجردة بل كان يعلق على عهد كل منهم ويذكر ماله وما عليه، ينظر: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة...، المرجع السابق، ص 7.

25 - وهناك قيمة أخرى لهذه الرحلة وهي أنها مصدر لحياة مؤلفها، ذالك إن المعاصرين لابن حمادوش لم يترجموا له ،كما لم يترجم له، حسب علمنا المتأخرون،وبذالك ظلت حياته مجهولة ولم يستطع ناشرو أعماله خلال القرن الماضي وبداية هذا القرن أن يكتشفوا منها حياة مؤلفها، أما هذه الرحلة ففيها كما عرفنا الكثير عن أخباره ونشاطه العلمي وتآليفه وأسفاره وعلاقاته، وإذا كانت لا تجيب عن الأسئلة به فإنها لاشك تلقي أضواء على الجوانب الخفية من حياته، ومن خلالها نستطيع أن نقول أننا نعرف الكثير عن ابن حمادوش، ومن سوء الحظ أن جزأها الأول ضائع كما يعتبر باقيها ضائعا أيضا، ولو أمكننا الاطلاع على كل الرحلة لجاءت صورة صاحبها كاملة أو تكاد، ينظر: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، ص 77.

26 - سورة القدر، الايات، 1،2،3.

27 - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري ...، المصدر السابق، ص 125.

28 - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري ...، المصدر السابق، ص 126.

29 - أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش الجزائري ...، المرجع السابق، ص 107.

30 - مايسة حراش، المرجع السابق، ص 75.

31 - أي المسمع الذي يقرا النص بصوت عال حتى يسمع الحاضرين و يفهمون، لذلك لاحظ المؤلف الفرق بين المملي الفصيح وغير الفصيح، انظر: عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ...، المصدر السابق، ص122 .

32 - أبو القاسم سعد الله، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري...، المصدر السابق، ص 122.

33 - نفسه، ص 123.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 135 - 149
abdallah.moussaoui@univ-constantine2.dz

34 - أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش الجزائري...، المصدر السابق، ص 257.

35 - نفسه، ص 217.

36 - نفسه، ص 219.

37 - يذكر أبو القاسم سعد الله أنه جاء في مذكرات الشريف الزهار التي نشرها أحمد توفيق المدني، في الصفحة 182 "إن أهل الجزائر لهم ولوع برواية البخاري، والمشاهير من علمائهم يقرأونه دراية، ويبتدئون قراءته من أوله إلى آخره مدة ثلاثة أشهر من اليوم الأول إلى رجب ويختمونه في أواخر رمضان على وفق المراد، ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص 124.

38 - نفسه، ص 235

39 - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري ...، المصدر السابق، ص 257.

40 - نفسه، ص 263.

41 - نفسه، ص 124.

42 - نفسه، ص ص122- 127.